نهج البلاغة لمن؟

بقلم
الشيخ محمد حسن آل ياسين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

***

تقديم

في أوائل عام 1395هـ - 1975م طلبت مني مجلة «البلاغ» العراقية كتابة بحث عن نهج البلاغة ومدى صحة القول بنسبته لأميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، جواباً على سؤال وردها من أحد قرّائها بهذا الشأن.

وحررت يومذاك مقالاً موسّعاً بعنوان «نهج البلاغة.. لمن» استعرضت فيه كلّ ما قيل من شبهات وشكوك في نسبة هذا الكتاب لعلي عليه السلام؛ ثم أجبت عن كلّ شبهة شبهة بما صحّ علمه وثبت أمره، مع مراعاة الاختصار والإيجاز، ملاحظة للمجلة وحجمها وحدود ما ينشر فيها من بحوث(1).

ثم طلعت علينا مجلة الكاتب المصرية في عدد شهر أيار (مايو) 1975م تحمل مقالاً بقلم الاستاذ محمود محمد شاكر حمله فيه حملة شعواء على نهج البلاغة وعلى كلّ قائل بكونه من كلام علي عليه السلام. وقد أثارت تلك الحملة من الإشفاق على الكاتب ومن الابتسامة على شفاه المحققين أكثر مما أثارت من استغراب واستهجان. وبادرت إلى كتابة رد مفصل على تلك الأقاويل وأبردته بالبريد المسجل المضمون إلى إدارة المجلة، ولكنه - فيما أعلم - لم ينشر ولم يشر إليه، وربما أرادت المجلة بهذا الإهمال للرد أن تؤكد موضوعيتها ومنهجيتها في عهدها الجديد!

وفي صيف ذلك العام نفسه تجولت في عدة أقطار عربية، والتقيت خلال تلك الجولة بعديد من الأعلام والمثقفين والباحثين وكان للتراث من أحديثنا حصة الأسد وأكثر النصيب - ونهج البلاغة قمة التراث وأبرز معالمه -. ولمست من هؤلاء الأفاضل إصراراً على نشر بحث في سند «النهج» يبدّد الشكوك ويضع النقاط على الحروف - على حدّ تعبير الكتاب المعاصرين -. فلما انتهى بي المطاف إلى بيروت - يرحمها الله! - أعدت نشر ذلك البحث في كراس مستقل زودت به هؤلاء الأصدقاء؛ تعبيراً عن شكري لهم ونزولي عند رغبتهم العزيزة الغالية.

***

واستمرت المطابع العربية تدور فتلقي في كلّ يوم كميات هائلة من الكتب والنشرات والصحف، ولابد للمتتبع من السير وراء تلك المطابع ليقرأ شيئاً من ذلك الزخم العظيم في الانتاج؛ بعد أن أصبح الوقوف على الكل خارج طاقة الإنسان.

وحصلت عندي القناعة التامة خلال شهور لا تبلغ السنة انّ هناك حملة عنيفة مدبرة على نهج البلاغة - وإن لم تكن عن اتفاق وارتباط سابقين - وانّ هناك هدفاً (كبيراً !) يهدف إليه هؤلاء السادة! من وراء هذه الحملة المدبّرة.

فبعد (مايو) مجلة الكاتب ومقال محمود محمد شاكر، يطل علينا (ديسمبر) مجلة الهلال ومقال للدكتور شفيع السيد، ثم (شباط) مجلة العربي ومقال للدكتور محمد الدسوقي. ولو انتظرنا سنة ثانية لرأينا شهوراً أخرى ومجلات جديدة تدخل القائمة لتحتل فيها «مكاناً ما» من مواقع الهجوم و«رقما ما» من أرقام الحملات.

فلماذا كلّ ذلك؟

وما هي «الأخطار» الفكرية التي يحملها نهج البلاغة لتشنّ عليه الحرب بهذا الشكل المتوالي المنظم؟!

وهل يتوقف بناء «الثقافة الجديدة!» التي يدعو إليها اخواننا الأعزاء في مصر والكويت على هدم نهج البلاغة وتحطيمه؟!

وهل يشكل نهج البلاغة سداً يعوق عن الدعوة القائمة هناك في ضرورة «الانفتاح» على «الأفكار!» المعاصرة فلا يجد الدعاة بدّاً من تحطيم هذا السد العائق والعقبة المانعة؟!

لا أدري! ولا المنجّم يدري!

***

والشيء المضحك المبكي في كلّ ذلك أن يكون من جملة الأسلحة الجديدة في هذه المعركة «شيء» لم يخطر ببال أحد ولم يدر في خلد إنسان، ولعلّ هذا هو معنى الجدة والابتكار والإتيان بما لم تستطعه الأوائل!

انّ محمود محمد شاكر يرى من جملة أدلة وضع نهج البلاغة وتلفيقه انه «كلام كثير الغثاثة»(2).

وعندما يقول هذا الرجل عن نهج البلاغة انّه «كلام كثير الغثاثة» نجد ـ مقتنعين ـ انّ الرجل قد شهر سلاحاً جديداً في المعركة لم يشهره غيره؛ ولكنّه ـ ويا للأسف ـ سلاح فاسد يرتد إلى الوراء كما ارتدت الأسلحة الفاسدة في عهد الملك السيء الصيت فاروق!!

وإذا كان في المشككين القدامى من نسب النهج للشريف الرضي فإنما دفعه إلى ذلك كون الرضي أديباً كبيراً اشتهر بسمو التعبير وفصاحة التركيب وبداوة اللفظ.

أمّا أن يكون في النهج «كلام كثير الغثاثة» فذلك ما لم يقله إنسان من الناس بما فيهم المشككون أنفسهم. وحسبنا أن نقرأ للدكتور شفيع السيد ـ أخير المشككين وليس آخرهم ـ ما ذكر في هذا الصدد إذ قال: «... فضلاً عما اشتهر به الإمام من بلاغة القول ورصانة العبارة، على نحوٍ لا نستبعد معه نسبة تلك النصوص إليه من حيث تركيبها اللغوي وتشكيلها البياني»(3).

***

ثمّ كان السلاح الثاني من تلك الأسلحة الجديدة المشهرة في هذا الميدان: ذلك التأكيد على الربط بين «الغلو» وبين القول بصحة نسبة نهج البلاغة لعلي عليه السلام.

ولنقرأ ـ معاً هذه الجمل لتتضح لنا معالم هذا السلاح الجديد:

يقول الدكتور شفيع السيد:

«انّ بعضاً منهم (أي الشيعة) غالى في تقديره له (لعلي) حتى رفعه إلى مستوى من اصطفاهم الله بالوحي. ومن هؤلاء الرضي نفسه في مقدّمته للكتاب، فقد علّل سبقه ـ رضي الله عنه ـ في مضمار البيان وتفوّقه على كلّ من عداه من الخطباء والبلغاء؛ بأنّ كلامه ـ عليه السلام ـ «الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي»(4).

وليس لنا من تعليق على هذا الكلام إذا كان أستاذ اللغة العربية وآدابها لا يعرف معنى «مسحة» و«عبقة»، ولا يرى لها مدلولاً إلا «الغلو» والاصطفاء بالوحي!

***

وإذا استثنينا هذين «السلاحين» الجديدين فإنّ كل ما قيل أخيراً إنما هو تكرار لما قاله الأولون وإن اختلفت الصياغة وتطورت أساليب التعبير.

وسيجد القارئ الكريم في تضاعيف البحث تلك الشبهات والشكوك بالتفصيل.

وكلّ أملي أن يكون لهذا الكتيب الصغير ما يكون لكوة النور من مجال ودور، إحقاقاً للحق، وكشفاً للغطاء عن الحقيقة، وإزالة لظلام عهود العصبية والهوى المقيت. فإن نجحت في ذلك فما أسعد الحظ، وإن لم أنجح فحسبي أنّي قد حاولت «والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله».

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

محمد حسن آل ياسين

العراق ـ بغداد ـ الكاظمية

10 / رجب / 1396هـ

8 / يوليو / 1976م

من هو جامع نهج البلاغة؟

أحالت عليّ مجلة «البلاغ» الزاهرة رسالة وردتها من أحد قرّائها يسأل فيها عن مدى صحة الكلام الذي يردده بعض الناس، في التشكيك بنسبة «نهج البلاغة» لأميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وفي اتهام الشريف الرضي بوضع تلك الرسائل والخطب.

وتلبية لطلب «البلاغ» أضع هذه الصفحات أمام صاحب السؤال المشار إليه وأمام جميع القراء الأعزاء بأمل أن تكون ـ على اختصارها ـ وافية بالغرض ومؤدّية لحقّ البحث، والله ولي التوفيق.

انّ كتاب «نهج البلاغة» ـ كما يعلم الباحثون المدققون ـ قد جمعه الشريف الرضي محمّد بن الحسين المتوفى سنة 406هـ وأودع فيه ما اختياره من كلام أميرالمؤمنين عليه السلام، وقد أتمّ جمعه في رجب سنة أربعمائة للهجرة كما نصّ هو على ذلك في آخر الكتاب. ووهم جورجي زيدان ـ كعادته في أوهامه وأغاليطه ـ فنسب جمع النهج للشريف المرتضى علي بن الحسين(5). وانه لغط فاحش لا يغتفر ربما تابع فيه ـ بغير هدى وتثبّت ـ أستاذه بروكلمان الذي قال: «والصحيح انه من جمع الشريف المرتضى»(6).

ولو رجع بروكلمان وجورجي زيدان ومن شايعهما وتابعهما إلى كتابي الشريف الرضي: حقائق التأويل والمجازات النبوية ـ وهما مطبوعان ومعروفان ـ لوقفا على تكرار الإشارة من الرضي إلى كونه هو الجامع لكتاب النهج(7).

ومع ظني الراجح بأنّ هذه الحقيقة لم تكن خافية على الأستاذ محمود محمد شاكر ـ كما خفيت على سلفيه السابقين ـ فإنه حاول إيهام القارئ بما طرحه من تشكيك في كون الجامع للنهج هو الرضي أو المرتضى(8).

شروح نهج البلاغة

وحظي هذا الكتاب من الأهمية والشأن بما لم يحظ به كتاب غيره على مرّ العصور، وأصبح له من الشروح ما بلغ (75) شرحاً في حساب بعض المؤلفين(9) و(101) من الشروح في حساب مؤلف آخر(10).

وليس غريباً أن يكون للنهج كل هذه الأهمية وهذا الشأن، فقد كان علي «إمام الفصحاء وسيد البلغاء، وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين. ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة» كما يروي عزالدين بن أبي الحديد.

ويقول عبدالحميد بن يحيى الكاتب: «حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت».

ويقول ابن نباتة: «حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي

طالب».

«ولما قال محفن بن أبي محفن لمعاوية: جئتك من عند أعيا الناس [يعني علياً] قال له:

ويحك كيف يكون أعيا الناس! فوالله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره»(11).

ويقول الشيخ محمد عبده: «وليس في أهل هذه اللغة إلا قائل بأنّ كلام الإمام علي بن أبي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيّه، وأغزره مادّة وأرفعه أسلوباً وأجمعه لجلائل المعاني(12).

ويقول الدكتور زكي نجيب محمود:

«ونجول بأنظارنا في هذه المختارات من أقوال الإمام علي التي اختارها الشريف الرضي (970م - 1016م) وأطلق عليها نهج البلاغة؛ لنقف ذاهلين أمام روعة العبارة وعمق المعنى، فإذا حاولنا أن نصنف هذه الأقوال تحت رؤوس عامة تجمعها؛ وجدناها تدور - على الأغلب - حول موضوعات رئيسية ثلاثة، هي نفسها الموضوعات الرئيسية التي ترتد إليها محاولات الفلاسفة قديمهم وحديثهم على السواء، ألا وهي: الله والعالم والإنسان. واذن فالرجل - وإن لم يتعمدها - فيلسوف بمادته، وإن خالف الفلاسفة في انّ هؤلاء قد غلب عليهم أن يقيموا لفكرتهم نسقاً يحتويها على صورة مبدأ ونتائجه، وأمّا هو فقد نثر القول نثراً في دواعيه وظروفه»(13).

ولقد عز على بعض «الناس»! من المتقدمين أن يكون نهج البلاغة انموذجاً من كلام علي وصورة مصغّرة من منهجه العام في الدين والسياسة والإدارة العامة للدولة مما أراد تطبيقه عندما آلت الخلافة إليه، فتوجهوا بسهام الشك نحوه زاعمين «انه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه»(14).

شكوك بعض الكتّاب

وجاء المتأخرون فسار «بعضهم» على طريق ذلك «البعض» السالف الذكر فردّدوا تلك الشبهات وكرروا تلك الشكوك، وكان من جملتهم جورجي زيدان الذي يقول: «وإن كنا نرى انّ كثيراً من تلك الخطب ليست لعلي بدليل اختلاف الأسلوب ومخالفة ما فيها من المعاني لعصره!»(15).

وكذلك المسيو ديمومبين الذي أراد - كما يروي الدكتور زكي مبارك - «انّ يغض من قيمة ما نسب إلى علي بن أبي طالب من خطب ورسائل، استناداً إلى ما شاع منذ أزمان من أن الشريف الرضي هو واضع نهج البلاغة»(16).

ثم سار على طريقهما الاستاذ محمود محمد شاكر الذي ساءه إعجاب الدكتور زكي نجيب محمود بشخصية علي بن أبي طالب اعتماداً على أقواله المودعة في نهج البلاغة وحزّ في نفسه قول الدكتور زكي نجيب: «لننظر كم اجتمع في هذا الرجل من أدب وحكمة وفروسية وسياسة»، فثار ثائرته واندفع يعلّق على ذلك تعليقاً مفصلاً مشحوناً بالجعجعة والطنين قائلاً: «ألم يكن أسلم له في طريقه أن يسأل وأن يحاول أن يفكر على الأقل حتى يتثبت من صحة ما نسبة ما في هذا الكتاب من الأقوال إلى علي رضي الله عنه؟ انه إذا بطل أن يكون هذا الكلام صحيح النسبة إلى علي، كان استخراج صورة علي منه ضرباً من العبث»(17).

وأردف قائلاً وهو يعلن فتواه العجيبة الغريبة:

«انّ النظرة الأولى إلى جملة ما في الكتاب من الكلام، تقطع بأنّ كثرته الكاثرة لم تجر على لسان علي رضي الله عنه قط، وانّه بعد الفحص الأول المدقق لا يكاد يسلم منه لعلي رضي الله عنه إلا أقل من العشر، فإذا كانت النسخة التي طبعها الشيخ

محمد عبده، تقع في نحو 400 صفحة، فلا يكاد يصحّ منها إلا أقل من أربعين صفحة»(18).

ثم لا يورد دليلاً على ذلك سوى اعتقاده بأنّ في النهج أقوالاً لا يليق صدورها عن رجل مثل علي وأنّ أبا عبيد القاسم بن سلام لم يشرح في كتابه غريب ما في النهج بأجمعه، بل «ان حديث علي فيه ربع حديث عمر».

ثم أراد أن يزيد القارئ ثقة بما يقول فأضاف:

«وهناك أدلة أخرى على بطلان نسبة ما في هذا الكتاب إلى أميرالمؤمنين»(19).

ولكنه لم يذكرها أبداً أبداً !!

ومع ذلك فقد تفضل فزادنا علماً فقال:

«فكتاب كهذا الكتاب، يدلّ صريح العقل والنظر وصريح النقل والتثبت على أنه كتاب قريب النسب كان غير لائق بالدكتور زكي أن يتسرّع إلى التقاطه دون أن يفحصه ويتحرى عنه فيجعل ما فيه من كلام كثير الغثاثة ـ وقد كتب أكثر بعد دهور متطاولة ـ ممثلاً لعلي بن أبي طالب وممثلاً أيضاً للقرن الأول من الهجرة»(20).

وهكذا تعاون هؤلاء جميعاً ـ بلا سابق معرفة بينهم ـ في محاولة هدم هذا الصرح الفكري العظيم الذي يمثله «النهج» أبلغ تمثيل.

وتصدّى عدد من الكتّاب والأدباء والباحثين إلى ردّ هذه الفرية وإقامة البرهان على زيف هذه المزاعم وكذب هذه الادعاءات.

رد ابن أبي الحديد على مجمل الشكوك

وكان في طليعة من تصدّى لتفنيد هذه الشبهات أديب عصره عزالدين بن أبي الحديد في شرحه للنهج، ونروي في أدناه فقرات مما كتبه هذا الأديب:

«انّ كثيراً من أرباب الهوى يقولون: انّ كثيراً من نهج البلاغة كلام محدث، صنعه قوم من فصحاء الشيعة، وربّما عزوا بعضه إلى الرضي أبي الحسن وغيره، وهؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم، فضلوا عن النهج الواضح... وأنا أوضح لك بكلامٍ مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط فأقول:

لا يخلو إمّا أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعاً منحولاً، أو بعضه.

والأول باطل بالضرورة، لأنا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، وقد نقل المحدّثون كلهم أو جلّهم والمؤرخون كثيراً منه، وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك.

والثاني يدلّ على ما قلناه، لأنّ من قد أنس بالكلام والخطابة، وشدا طرفاً من علم البيان وصار له ذوق في هذا الباب، لابدّ أن يفرّق بين الكلام الركيك والفصيح، وبين الفصيح والأفصح، وبين الأصيل والمولد، وإذا وقف على كراس واحد يتضمّن كلاماً لجماعة من الخطباء، أو لاثنين منهم فقط، فلابدّ أن يفرّق بين الكلامين ويميّز بين الطريقتين. ألا ترى انّا مع معرفتنا بالشعر ونقده، لو تصفحنا ديوان أبي تمام، فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام ونفسه وطريقته ومذهبه في القريض... وأنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماءاً واحداً ونفساً واحداً وأسلوباً واحداً كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية، وكالقرآن العزيز، أوّله كأوسطه، وأوسطه كآخره... فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم انّ هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى أميرالمؤمنين عليه السلام»(21).

ولما كان بعض الكتّاب المعاصرين ـ وإن امتهنوا أستاذية الأدب ـ يجهلون هذا الأسلوب النقدي الفاحص في دراسة النصوص الأدبية لم يجد أحدهم مانعاً من أن يقول ما نصّه:

انّ «نسبة الشريف الرضي ـ جامع الكتاب ـ إلى البيت العلوي... يمكن أن تكون مدعاة للشك ودافعاً إلى الاتهام بالتحيّز والتعصب... وقد قال عنه بعض واصفيه: كان شاعراً مفلقاً فصيح النظم ضخم الألفاظ.. وكان مع هذا مترسلاً كاتباً بليغاً متين العبارات، فمن اليسير على مثله إذن أن يؤلف من الكلام ما يشاكل كلام علي رضي الله عنه في جزالة الألفاظ ومتانة السبك»(22).

ويروي ابن أبي الحديد عن شيخه أبي الخير الواسطي: انّ أبا الخير سأل يوماً أستاذه ابن الخشاب بعد انتهائهما من قراءة خطبة علي المعروفة بالشقشقية: «أتقول أنها منحولة! فقال: لا والله وإني لأعلم انّها كلامه كما أعلم انك مصدق. قال: فقلت له: انّ كثيراً من الناس يقولون انها من كلام الرضي رحمه الله تعالى.

فقال أنّى للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الأسلوب! وقد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنّه في الكلام المنثور...

ثم قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنّفت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي»(23).

ويعلّق ابن أبي الحديد على هذه الخطبة نفسها فيقول:

«وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدّة طويلة. ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر ابن قبة... وكان... من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه الله تعالى ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله تعالى موجوداً»(24).

وعندما ترجم الإمام الزيدي يحيى بن حمزة العلوي المتوفى سنة 745هـ لعلي عليه السلام قال: «وأعظم كلامه ما حواه كتاب نهج البلاغة وقد تواتر نقله عنه واتفق الكل على صحته»(25).

ويقول الكاتب المصري المعاصر محمد عبدالغني حسن:

«ولن نعيد هنا القول فيما لوى به بعض المتعنتين أشداقهم من انّ نهج البلاغة هو من كلام الشريف الرضي نفسه وانّه ليس للإمام علي كرم الله وجهه. فتلك قضية أحسن الدفاع فيها ابن أبي الحديد في القديم كما أحسن الدفاع عنها في زماننا هذا الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد»(26).

كما يقول الدكتور زكي مبارك تعليقاً على شكوك المسيو ديمومبين:

«أمّا نحن فنتحفظ في هذه المسألة كلّ التحفظ لأنّ الجاحظ يحدّثنا انّ خطب علي وعمر وعثمان كانت محفوظة في مجموعات. ومعنى هذا انّ خطب علي كانت معروفة قبل الشريف الرضي. والذين نسبوا نهج البلاغة إلى الرضي يحتجّون بأنّه وضعها لأغراض شيعية، فلم لا نقول من جانبنا بأنّ تهمة الوضع جاءت لتأييد خصوم الحملات الشيعية»(27).

ومهما يكن من أمر:

وعلى الرغم من ضيق هذه الصفحات وعدم اتساعها لبحث هذا الموضوع كما يستحقّه من إطناب وتفصيل، فإننا سنستعرض المسألة بالقدر المناسب لهذا المجال وحجمه، فنوجز ـ بأمانة ـ عرض الشبهات التي يردّدها الشكاك في هذا الصدد، كما نوجز

عرض الأجوبة والردود على كل ذلك، ليحصحص الحق وينكشف الزيف ويتجلّى الصبح لكل ذي عينين.

الشبهات

الأولى ـ التعريض بصحابة رسول الله (ص). وذلك ما لا يتناسب ومقام الإمام وعظمة خلقه وسمو نفسه.

الثانية ـ تكرّر لفظي «الوصي» و«الوصاية» في نهج البلاغة. وتلك لفظة لم يكن يعرفها المسلمون يومذاك، وإنما ابتدعها المبتدعون بعد ذلك التاريخ بمدة طويلة.

الثالثة ـ طول بعض الخطب الواردة في النهج كما في الخطبة المسماة بـ«القاصعة» والأخرى المسماة بـ«الأشباح»، وكذلك طول بعض الكتب كـ«العهد» المكتوب لمالك الأشتر عندما ولاه الإمام أمر مصر. وذلك ما يخالف الأسلوب المألوف لدى الصحابة وغيرهم من البلغاء أو آنذاك.

الرابعة ـ السجع والتنميق والصنعة اللفظية والزركشة في التعبير. وذلك ما لم يعرفه الأدب العربي إلا بعد عصر الإمام.

الخامسة ـ دقة الوصف كما في الخطب المعنية بوصف الخفاش والطاووس والنملة والجرادة. وذلك ما لم نجد له مثيلاً في المأثور من كلام العرب في صدر الإسلام: وإنما هو آثار تعريب التراثين اليوناني والفارسي وتأثّر العرب به، وهو متأخر عن عصر الإمام بكثير.

السادسة ـ استعمال الإحصاءات العددية كقوله: «الاستغفار على ستة معان» وكقوله: «الإيمان على أربع دعائم» وكقوله: «الصبر على أربع شعب». وهذا أيضاً من آثار التأثر بالتعريب، ولم يكن معروفاً أو مألوفاً في عصر الإمام.

السابعة ـ ورود عبارات في النهج قد يستشف منها القارئ ادعاء علي علم الغيب. وذلك ما يجب أن يكرم مقام الإمام عنه، لأنه من خصائص النبوة التي لا يصح ادعاؤها لأي شخص بعد النبي (ص).

الثامنة ـ الإكثار من كلمات الزهد وذكر الموت. وهذا من نتائج التأثر بالمنهج المسيحي من جهة وبالحركة الصوفية من جهة أخرى. وذلك كله متأخر جداً عن عصر علي.

التاسعة ـ رواية بعض الكتب والمراجع القديمة لبعض الجمل الواردة في النهج منسوبة إلى أشخاص آخرين.

العاشرة ـ خلو كثير من كتب اللغة والأدب من الاستشهاد بما ورد في نهج البلاغة. وإعراض أولئك الأعلام عن الاستشهاد بكلام الإمام دليل على رفضهم لصحة انتسابه لعلي عليه السلام.

هذه هي خلاصة وجيزة وأمينة لكل ما قيل من شكوك وشبهات في مسألة انتساب نهج البلاغة للإمام. ونورد في أدناه جواب هذه الشبهات بالتسلسل، عسى أن يكون فيه ما يرضي الباحث ويقنع الحائر، فنقول:

جواب الشبهة الأولى

إنّ الصحبة ـ في اللغة ـ لا تدل على أكثر من المعاشرة والمعاصرة، ولا علاقة لها بتوافق الرأي وانسجام العقيدة بين الصاحبين أبداً، ويقول تعالى في محكم كتابه: (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك) ويقول تعالى مخاطباً كفرة مكة: (ما بصاحبكم من جنة) وإلى آخر ما هنالك من شواهد قرآنية وحديثية وشعرية.

ومن هنا يظهر انّ من عاصر رسول الله (ص) وعاشره وإن صحّ إطلاق لفظ (الصاحب) عليه لا يمكن أن يوصف بالإيمان والتقى والورع والوثاقة لمجرد تلك المعاصرة والمعاشرة، بل لابد من دراسة شاملة لأعمال ذلك الصحابي ليرى من سلوكه

وتدينه والتزامه مدى استحقاقه لصفة الوثاقة وللتزكية الحقيقية له في ضوء ذلك كله.

وحسبنا دليلاً على ذلك ما رواه البخاري عن النبي (ص) من قوله: «ليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب أصحابي، يقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك» وفي نص آخر: «فأقول: أمتي، فيقول: لا تدري مشوا على القهقهرى»، وفي نص ثالث: «فيقال: إنك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي»(28).

وفي لفظ ابن ماجة: «ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ويحكم أو ويلكم لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»(29).

وإذن، فليس كل صحابي منزهاً من الذم، وليس كل صحابي محرّم الثلب، ولذلك فلا مانع - أبداً - أن يذكر علي بالذم والثلب من يستحق ذلك منهم، خصوصاً وانّ بعضهم قد شهر السلاح بوجهه وأعلن الحرب عليه وكان يودّ قتله وسفك دمه مهما كانت الوسائل وبأي سبيل كان.

ومن هنا نرى انّ كلمات الذم هذه لم تكن بالشكل الذي «لا يليق صدورها عن رجل مثل علي في دينه وعلمه وتقواه» كما يزعم محمود محمد شاكر، ولم تكن مما يجب إنكاره «تنزيهاً لعلي عن الهبوط إلى هذا المستوى» كما يدعي الدكتور شفيع السيد.

وهل يعتبر ذم الناكثين والقاسطين والطعن في المارقين والمنحرفين عملاً منافياً للتقوى أو مخالفاً لأحكام الدين!!

ولذلك، فلم يكن من المستبعد أن يذمّ علي هؤلاء وأشباههم، وليس في ورود مثل هذا الذم في كلامه ما يحمل على الشك في انتساب ذلك الكلام إليه. خصوصاً وانه قد أثنى على الصحابة الملتزمين الأثبات ثناءً جميلاً بلغ حد التأوه والحنين على فراقهم، وعلل حنينه عليهم لأنهم «تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة وأماتوا البدعة...» إلخ(30).

وهذه هي الموضوعية المذهلة الرائعة التي سار عليها علي عليه السلام طيلة حياته: يقول الحق، وينطق بالصدق، يمدح من استحق المدح، ويذمّ من استأهل الذم، ولا تأخذه في كل ذلك لومة لائم.

جواب الشبهة الثانية

انّ كلمة «الوصية» ومشتقاتها قد تكررت في القرآن الكريم عدة مرات(31)، كما تكررت في كلام النبي (ص) مرات أيضاً، ومنها ما أعلنه في اجتماع الإنذار عندما قال النبي (ص): «فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعاً فقام علي فقال أنا يا نبي الله... إلخ»(32).

كما انّ هناك أحاديث نبوية متعددة وصف فيها علي بـ«الوصي» و«أفضل الأوصياء» و«خاتم الوصيين» روتها كتب كثيرة ومراجع شهيرة معتمدة عند المسلمين(33).

ونظم الشعراء هذا المعنى في ذلك العصر، وكان منهم رجل اللغة والنحو أبو الأسود الدؤلي الذي يقول:

أحب محمداً حباً شديداً***وعباساً وحمزة والوصيا(34)

وكان منهم حسان بن ثابت الذي يقول من جملة قصيدة يخاطب بها علياً:

ألست أخاه في الهدى ووصيه***وأعلم منهم بالكتاب والسنن(35)

وكذلك النعمان بن العجلان الذي يقول في أثناء مقطعة له:

وصي النبي المصطفى وابن عمّه***وقاتل فرسان الضلالة والكفر(36)

وإلى كثير من الشعراء الذين عقد ابن أبي الحديد فصلاً خاصاً لهم ولما ورد في شعرهم من «وصاية» علي، وهم عدد كبير من البدريين وآخرون من الصحابة والتابعين(37).

أمّا الشعراء المتأخرون عن ذلك العهد ـ عهد الصحابة والتابعين ـ فقد تكررت في شعرهم كلمة «الوصي» نعتاً خاصاً بعلي، ولكننا لا نرى المجال متسعاً لسرد ذلك كله، ومثله القول في غير الشعراء من المؤرخين وكتاب التراجم وسائر المؤلفين.

وإذن، فكلمة «الوصي» نبوية أصيلة لا يسع المسلم ولا غير المسلم نكران أصالتها اللغوية والدينية والتاريخية، وقد استعملها الجيل الأول من أجيال الإسلام بمعناها الخاص الذي نعنيه.

جواب الشبهة الثالثة

انّ الطول والقصر في الخطبة والعهد والرسالة إنّما يرتبط بمناسبة الكلام، وقد عرف العلماء البلاغة: بأنّها مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فإذا اقتضت الحال التطويل كان على البليغ أن يطيل، وإذا اقتضت التقصير قصر، وعندما رأى بليغ العرب سحبان وائل وهو في مجلس معاوية انّ المقام يستدعي الاطالة قام فخطب من حين انتهاء صلاة الظهر وإلى أن حل وقت العصر(38)، من دون أن يرى أحد الحاضرين انّ ذلك مخالف للبلاغة أو خارج عن أصول الكلام.

وقد أجاب على هذه الشبهة عدد من الكتّاب، منهم الدكتور زكي مبارك الذي يقول:

«إنّ مسألة الإيجاز والاطناب كانت تجري في الغالب على مقتضى الحال، فكان الكاتب يوجز تارة ويطنب أخرى، وفقاً للظروف التي يكتب فيها رسالته، وكان من الخطباء من يطيل وكان منهم من يوجز، ولا يرجعون في ذلك إلى قاعدة غير المناسبات التي توجب الكلام، فتقتضي مرة بالإطناب وتقضي حيناً بالإيجاز.

وسحبان وائل الذي عرف بالتطويل وبأنه كان يخطب أحياناً نصف يوم أثرت عنه الخطب القصيرة الموجزة».

«ورسائل علي بن أبي طالب وخطبه ووصاياه وعهوده إلى ولاته تجري على هذا النمط فهو يطيل حين يكتب عهداً يبين فيه ما يجب على الحاكم في سياسة القطر الذي يرعاه، ويوجز حين يكتب إلى بعض خواصه في شأن معين لا يقتضي التطويل»(39).

جواب الشبهة الرابعة

انّ السجع والازدواج اللفظي ليس شيئاً غير معروف في ذلك العصر كما يزعم الدكتور أحمد أمين(40)، وحسبنا فيه انه أسلوب القرآن الكريم، وما أحرى تلميذ القرآن بالسير على منهج القرآن حتى في الأسلوب والتعبير وفن صياغة الكلام.

وقد روى المحدثون والمؤرخون سجعاً وازدواجاً في كلام النبي (ص)(41)، وكلمات بعض الصحابة، ولكن دليل القرآن هوالأصل، وقد سار الجميع على هدى هذا الكتاب وتأثروا بأسلوبه.

ويقول الدكتور زكي مبارك معلقاً على ذلك:

«وقد رأينا التوحيدي يخترع السقيفة ويرى من الفن أن ينطق الصحابة بكلام مسجوع لأنه كان يعرف لغتهم كذلك»(42).

وإذن، فالكلام المسجوع كان معروفاً ومألوفاً يومذاك، ولا مجال للشك في صحة نسبة مثل هذا الكلام للنبي وصحابته ومعاصريه.

جواب الشبهة الخامسة

إنّ دقة الوصف لشيء ما فرع التأمل الدقيق في ذلك الشيء وكلما كان التأمل أعمق وأدق وكان الوصف أشمل وأكمل كان

معنى ذلك انّ المتأمل على جانب كبير من الذكاء والعبقرية. وهؤلاء العلماء الذين عرفهم العلم في كلّ عصوره كان نبوغهم مستنداً إلى التأمل في الأشياء وفي البحث عن كنهها وأعماقها المجهولة ثم وصف ما يجهله الناس من ذلك الكنه الغامض وتلك الأعماق التي لم يعرف بنو الإنسان عنها شيئاً.

ولا أظن انّ إنساناً ينكر على أي عالم من هؤلاء دقة وصفه وعمق غوره وكشفه الأسرار والأستار الخفية المجهولة.

فلماذا ينكر الدكتور أحمد أمين(43) وأشباهه على علي أن يصف الجرادة بدقة أو يتحدّث عن النملة بعمق؟!

انها مسألة فيها نظر!

وحتى «الطاووس» الذي كان وصف علي له دليلاً ـ لدى بعض المغفلين ـ على كذب نسبة تلك الخطبة للإمام لأن المدينة لم يكن فيها طواويس، فقد شاهده الإمام بالكوفة «وكانت يومئذ تجبى إليهما ثمرات كلّ شيء وتأتي إليها هدايا الملوك من الآفاق»(44)، وتأمل فيه بدقة، وعاينه معاينة العالم الذكي العبقري، وخرج من كل ذلك بما ذكره في خطبته الواردة في نهج البلاغة، وقد أشار في خلالها إلى معنى الملاحظة الفاحصة المبنية على المشاهدة العميقة والرؤية الدقيقة فقال عليه السلام: «احيلك من ذلك على معاينة»(45).

ولعلّ ذنب علي في ذلك كلّه انّه كان دقيق النظر بأكثر مما كان عليه أهل عصره!

وانّه لذنب كبير بلا شك!!

جواب الشبهة السادسة

انّ التقسيمات العددية الواردة في نهج البلاغة ليست بدعاً في بابها، والظاهر انّ الدكتور أحمد أمين لم يكلّف نفسه عناء المراجعة عندما كتب يقول عن هذه التقسيمات انها «إنما حدثت بعد أن نقلت الفلسفة اليونانية إلى العربية وبعد أن دوّنت العلوم»(46).

وقد ورف في المأثور من كلام النبي (ص): «ثلاثة لا يكاد يسلم منهن أحد... إلخ»(47). «أوصاني ربي بتسع وأنا أوصيكم بها...»(48). «أربع من النشر: شرب العسل... إلخ»(49).

وورد في المروي عن الخليفة أبي بكر: «ثلاث فعلتهن وددت أني تركتهن، وثلاث تركتهن وددت أن فعلتهن، وثلاث وددت أني سألت رسول الله (ص) عنهن، فأمّا الثلاث...»(50).

وورد في المروي عن الخليفة عمر: «النساء ثلاث... إلخ»(51). «الإنسان لا يتعلم العلم لثلاث ولا يتركه لثلاث... إلخ»(52).

«الرجال ثلاثة... إلخ»(53). «ثلاث خصال من لم يكن فيه لم ينفعه الإيمان... إلخ»(54).

إلى كثير من أمثال ذلك مما هو مروي عن الصحابة والتابعين وغيرهم، فهل كلّ ذلك مما لفّقه الشيعة على لسانهم؟ أم ان الشريف الرضي هو الذي وضعه ونحله هذا وذاك؟!

وأين كان الدكتور أحمد أمين وأضرابه عن هذه النصوص؟!

جواب الشبهة السابعة

كان علي عليه السلام يخطب بالبصرة ويخبر في خطبته ببعض الملاحم «فقال له بعض أصحابه: لقد أعطيت يا أميرالمؤمنين علم الغيب. فضحك عليه السلام وقال للرجل وكان كلبياً: يا أخا كلب، ليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم... علمه

الله نبيه فعلمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري»(55).

وهذا هو قولنا في علم الأئمة بالغيب.

تعلم من ذي علم، وهو رسول الله صلى الله عليه وآله.

ويؤكد هذا المعنى ما أخرجه الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان بسنده عن ابن المغيرة، قال: «كنت أنا ويحيى بن عبدالله بن الحسن عند أبي الحسن [الإمام موسى بن جعفر] عليه السلام، فقال له يحيى: جعلت فداك انهم يزعمون انك تعلم الغيب، فقال: سبحان الله... لا والله ما هي إلا وراثة عن رسول الله (ص)(56).

وهكذا يكشف لنا علي وولده موسى بن جعفر عليهما السلام حقيقة علم الغيب الوارد في كلام الأئمة، ولكن عباس محمود العقاد عندما خفي عليه هذا المعنى ولم يقف على كلام الإمام في نهج البلاغة سارع إلى القول: بأن «النبوءات التي جاءت في نهج البلاغة عن الحجاج وفتنة الزنج وغارات التتار وما إليها هي من مدخول الكلام عليه ومما أضافه النساخ إلى الكتاب بعد وقوع تلك الحوادث بزمن قصير أو طويل»(57).

وهذا من الإشكالات المضحكة!

وعندما يزعم انّ ذكر غارات التتار في نهج البلاغة «من مدخول الكلام» و«مما أضافه النساخ» فإنه لا يعلم بأن في مكتبات العالم اليوم نسخاً من نهج البلاغة قد كتبت قبل عصر التتار وقبل احتلال بغداد من قبلهم(58)، وقد ورد فيها هذا النص كما هو مثبت في نهج البلاغة المطبوع، وكذلك النسخة التي اعتمد عليها ابن أبي الحديد وهي بخط الشريف الرضي(59).

فمن أدخل هذا الكلام يا ترى؟ وأيّ ناسخ أضافه؟

وهل نسبة علم الغيب إلى الوضاعين والناسخين أقرب إلى القبول من نسبته لعليّ ؟!

جواب الشبهة الثامنة

ان الظروف الاجتماعية المتطورة التي فتحت على المسلمين آفاق الأرض لم تصحبها عدالة في توزيع الثروة وفي تنظيم الحياة العامة لهم بالانصاف والمساواة الإسلامية، فحصل ـ نتيجة لذلك ـ من سوء النظام وسوء التوزيع والاثراء الفظيع لبعض النفعيين على حساب الفقر المدقع للكثرة الكاثرة من الناس، ما حمل الإمام على استعمال هذا الأسلوب الزهدي المشار إليه وعلى تكرار ذلك والتأكيد عليه ليخفف من غلواء هذه الرأسمالية العجيبة والطبقية الخطيرة.

وكدليل على صحة هذا الاستنتاج نجد انّ أفراداً من أصحابه ممن أرادوا الزهد الحقيقي ولم يكونوا من أولئك الذين يخشى عليهم من أن يعميهم حب الدنيا وحب المال قد لامهم على زهدهم المتطرف كمثل قوله لعاصم بن زياد الحارثي عندما بلغه انه لبس العباءة وتخلى عن الدنيا: «يا عدي نفسه، لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك. أترى الله أحلّ لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها.. قال: يا أميرالمؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك. قال: ويحك انّي لست كأنت. إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ [أي يهيج الألم] بالفقير فقره»(60).

وإذن، فلم يكن علي بزهده يريد أن يرسم الناس منهج سلوكهم، وإنما كان يرى في زهده قياماً بواجب المركز وشؤون المسؤولية. وقد شرح هو ـ سلام الله عليه ـ ذلك بكل تفصيل في رسالته لعثمان بن حنيف واليه على البصرة، وكان مما قال له في أثناء هذه الرسالة:

«ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي

ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى؟ أأقنع من نفسي بأن يقال أميرالمؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش»(61).

وعندما يصف علي المتقين لا يصفهم بالزهد والتصوف وحرمان النفس من طيبات الحياة الدنيا وإنما يوكد «ان المتقين ذهبوا بعاج الدنيا وآجر الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم. سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوها بأفضل ما أكلت، فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون.. ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابح»(62).

جواب الشبهة التاسعة

انّ رواية بضعة فقرات من نهج البلاغة منسوبة لغير علي في بعض المراجع والكتب التراثية أمر لا يدلّ على نفي نسبة أو تلفيق سند، كيف وقد حدث مثلها في بعض ما نسب إلى النبي (ص) وإلى عدد من الصحابة من جمل وفقرات، كما حدث مثلها في عدد كبير من الشعر العربي القديم.

وليس معنى نسبة فقرة نبوية إلى غير النبي في كتاب ما، أو نسبة بيت من الشعر إلى شاعر ما وغيره انّ الحديث النبوي أصبح محل شك أو إشكال، أو ان ديوان الشاعر الفلاني قد أصبح مرفوض النسبة والسند.

هذا كله، بالإضافة إلى تلك الحملة الشعواء التي شنها الحكم الأموي وعدد من الحكام العباسيين على شخص علي بفضائله ومناقبه وأحاديثه وتاريخه، مما حدا بالكثير إلى كتمان ما يعلمه أولئك عن علي، وإلى الاستشهاد بكلامه من دون تصريح باسمه في معظم الأحيان.

وعندما يعلن الخليفة ـ وهو الحاكم المطلق ـ براءة الذمة ممن يذكر أبا تراب بخير، أيبقى مجال لتداول كلامه بين الناس علنا، وإذا كان الجواب بالنفي صحيحاً ـ وهو صحيح قطعاً ـ فلماذا يتعجب محمود محمد شاكر من كون حديث علي (ع) عند القاسم بن سلام بمقدار ربع حديث عمر بن الخطاب (رض)، وهل يكون ذلك دليلاً على الشك في نهج البلاغة!!

جواب الشبهة العاشرة

كثيرة هي المصادر التراثية المعتمدة التي تروي كلام علي وخطبه، وقد سبق تأليفها على عهد الشريف الرضي جامع نهج البلاغة(63).

وكان السيد عبدالزهراء الخطيب الحسيني قد أحصى (109) مصادر مؤلفة قبل سنة 400هـ ـ وهي سنة جمع الشريف للنهج ـ قد استشهدت بكلام الإمام وخطبه ورسائله(64) وحملت إلى الأجيال التالية تلك النصوص العلوية دون أن تبدي أيّ شكّ في ذلك أو ريب أو توقف.

ويكفينا أن نعلم أنّ من جملة أولئك الرواة القدماء: المفضل الضبي المتوفى سنة 168هـ ونصر بن مزاحم المتوفى سنة 202هـ والقاسم بن سلام المتوفى سنة 223هـ وابن سعد المتوفى سنة 230هـ ومحمد بن حبيب المتوفى سنة 245هـ والجاحظ المتوفى سنة 255هـ والسجستاني المتوفى سنة 255هـ والزبير بن بكار المتوفى سنة 256هـ والمبرد المتوفى سنة 258هـ وابن قتيبة المتوفى سنة 276هـ والبلاذري المتوفى سنة 279هـ والبرقي المتوفى سنة 274هـ أو 280هـ واليعقوبي المتوفى سنة 284هـ وأبا حنيفة الدينوري المتوفى حوالي سنة 290هـ وأبا جعفر الصفار المتوفى سنة 290هـ

وأبا العباس ثعلب المتوفى سنة 291هـ وابن المعتز المتوفى سنة 296هـ والطبري المتوفى سنة 310هـ وابن دريد المتوفى سنة 321هـ وابن عبد ربه المتوفى سنة 328هـ والزجاجي المتوفى سنة 329هـ والجهشياري المتوفى سنة 331 والكندي المتوفى سنة 350هـ وأبا الفرج الاصبهاني المتوفى سنة 356هـ والقالي المتوفى سنة 356هـ.

وعندما نقف على مؤلفات هؤلاء الأعلام وما فيها من كلام الإمام عليه السلام نجد كم كان محمود شاكر بعيداً عن الموضوعية والجدية عندما قال:

«انّ بين جمع هذه الأقوال وبين وفاة علي رضي الله عنه نحو أربعة قرون، وهذه الأقوال لم يروها الرضي أو أخوه المرتضى (كذا) بإسناد صحيح، مع هذه الدهور المتطاولة التي تفصل بين علي أميرالمؤمنين وبين جامع هذه الأقوال».

وكذلك يتضح مقدار المجانبة عن الصواب في كلام الدكتور شفيع السيد إذ يقول:

«وكان منهج الرضي في تسجيل النصوص من العوامل التي استندوا إليها [أي المشككون] في تأييد وجهة نظرهم، ذلك انه في الأعم الأغلب من الأحيان يورد النصوص منسوبة إلى الإمام علي دون توثيقها بذكر المصادر التي سبقته إلى روايتها، أو الشيوخ الذين روى عنهم».

كما يتضح أيضاً مدى الكسل في مراجعة المصادر عند الدكتور طه حسين أو التسرع في إصدار الأحكام عندما يقول فيما يروي عنه الدكتور الدسوقي والعهدة عليه:

«انّ في بعض كتب التاريخ مثل الطبري والبلاذري خطباً للإمام علي، وهذه يمكن قبولها وصحة نسبتها إليه».

وكان الطبري والبلاذري هما الوحيدان! وكان مالم يروياه من كلام الإمام لم يرد في مصدر آخر ولم يروه راوٍ غيرهما!

ختام البحث

وبعد:

فلعل من أجمل ما نختم به الحديث عن نهج البلاغة أن نقرأ فقرات مما كتبه المستشرق الفرنسي الشهير هنري كوربان عن هذا الكتاب العظيم إذ قال:

«وتأتي أهمية هذا الكتاب في الدرجة الأولى، بعد القرآن وأحاديث النبي، ليس بالنسبة للحياة الدينية في التشيع عموماً وحسب، بل بالنسبة لما في التشيع من فكر فلسفي. ويمكن اعتبار نهج البلاغة منهلاً من أهم المناهل التي استقى منه المفكرون الشيعة... وانّك لتشعر بتأثير هذا الكتاب بصورة جمة من الترابط المنطقي في الكلام؛ ومن استنتاج النتائج السليمة؛ وخلق بعض المصطلحات التقنية العربية التي أدخلت على اللغة الأدبية والفلسفية فأضفت عليها غنى وطلاوة، وذلك انها نشأت مستقلة عن تعريب النصوص اليونيانية»(65).

***

ومهما يكن من أمر.

فسيظل «نهج البلاغة» نبراساً مشعاً يهتدي بنوره السائرون، وينهل منه المنتهلون، ولن يستطيع الضباب مهما تكاثف حجمه واتسع امتداده أن يحجب الشمس عن العيون.

وصدق الله العلي العظيم إذ يقول:

«أمّا الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» والحمد لله رب العالمين.

***

المصادر والمراجع

1 - أمالي الشيخ المفيد، النجف 1367هـ.

2 - البلاغ، مجلة، الجمعية الاسلامية للخدمات الثقافية، بغداد 1395هـ.

3 - تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان، القاهرة 1930م.

4 - تاريخ الأدب العربي لبروكلمان - الترجمة، القاهرة (د.ت) العربية.

5 - تاريخ الأدب العربي، العصر الاسلامي للدكتور شوقي ضيف، القاهرة 1974م.

6 - تاريخ الأمم والملوك للطبري، القاهرة 1963م.

7 - تاريخ الفلسفة الإسلامية لهنري كوربان - الترجمة العربية، بيروت 1966م.

8 - تلخيص البيان للشريف الرضي، القاهرة 1374هـ.

9 - حقائق التأويل للشريف الرضي، النجف 1355هـ.

10 - ديوان أبي الأسود الدؤلي، بغداد 1384هـ.

11 - سرح العيون لابن نباتة، القاهرة 1377هـ.

12 - سنن ابن ماجة، القاهرة 1372هـ.

13 - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، القاهرة 1378هـ.

14 - صحيح البخاري، القاهرة، محمد علي صبيح.

15 - عبقرية الإمام، للعقاد، القاهرة 1952م.

16 - العربي، مجلة، وزارة الاعلام الكويتية، الكويت 1976م.

17 - العقد الفريد لابن عبد ربه، القاهرة 1375هـ.

18 - الغدير للأميني، النجف 1365هـ.

19 - فجر الاسلام للدكتور أحمد أمين، القاهرة، 1370هـ.

20 - الكاتب، مجلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1975م.

21 - الكامل لابن الأثير، القاهرة 1348هـ.

22 - لسان الميزان لابن حجر، الهند 1329هـ.

23 - المجازات النبوية للشريف الرضي، القاهرة 1356هـ.

24 - مرآة الجنان لليافعي، الهند 1337هـ.

25 - مشكاة الأنوار ليحيى العلوي، القاهرة 1973م.

26 - مصادر نهج البلاغة للحسيني، النجف 1386هـ.

27 - المعقول واللامعقول في التراث العربي للدكتور زكي نجيب محمود، دار الشروق.

28 - الموفقيات للزبير بن بكار، بغداد 1972م.

29 - النثر الفني في القرن الرابع الهجري للدكتور زكي مبارك، القاهرة 1352هـ.

30 - نهج البلاغة، تعليق الشيخ محمد عبده، القاهرة (البابي الحلبي).

31 - الهلال، مجلة، دار الهلال المصرية، القاهرة 1975م.

32 - الوافي بالوفيات للكتبي، القاهرة 1951م.

33 - وفيات الأعيان لابن خلكان، القاهرة 1948م.

الهوامش

(1) مجلة البلاغ، العدد الثالث، السنة الخامسة، 1395هـ - 1975م.

(2) مجلة الكاتب المصرية، العدد 170، مايو 1975م، ص30 - 31.

(3) مجلة الهلال، العدد12، السنة 83، ص95.

(4) المصدر نفسه: 95.

(5) تاريخ آداب اللغة العربية: 1/181و 2/288.

(6) تاريخ الأدب العربي ـ الترجمة العربية ـ: 2/64.

(7) حقائق التأويل: 167 والمجازات النبوية: 40 و 60 و 152 و 189 و 285.

ومن مغالطات الدكتور شوقي ضيف في كتابه تاريخ الأدب العربي ـ العصر الإسلامي: ص128: انه اعتبر اعتراف الشريف الرضي بجمعه للنهج دليلاً على وضعه إياه! وما أدري متى أصبح الجمع وضعاً!!

(8) مجلة الكاتب: العدد 170، ص20.

(9) الغدير للأميني: 4/164 - 169.

(10) مصادر نهج البلاغة للحسيني: 1/248 ـ 313. وقال الدكتور شفيع السيد انّ معظم شراح نهج البلاغة هم من الشيعة (الهلال: العدد12، السنة 83، ص96)، ثم سمّى عدداً من هؤلاء الشراح وكان معظمهم من غير الشيعة!!

(11) يراجع فيما سبق: شرح نهج البلاغة: 1/24 ـ 25.

(12) نهج البلاغة، تعليق محمد عبده: 1/5.

(13) المعقول واللامعقول في التراث العربي: 30.

(14) وفيات الأعيان لابن خلكان: 3/3، وقد تابعه على زعمه هذا كلّ من الصفدي في الوافي بالوفيات: 2/375 واليافعي في مرآة الجنان: 3/55 حجر في لسان الميزان 4/223.

(15) تاريخ آداب اللغة العربية: 2/288.

وتناقض الدكتور شوقي ضيف تناقضاً عجيباً في هذا الموضوع وفي صفحة واحدة من كتابه ص128، فذهب أولاً إلى أنّ علياً قد خلف خطباً كثيرة، ثم ذهب ثانياً إلى انّ النهج من وضع الشريف الرضي، ثم رجح ـ وفي ثالثة الاثافي ـ انّ الوضع على علي

أقدم من عصر الشريف بل من عصر المسعودي!!! فانظر وتأمل..

(16) النثر الفني في القرن الرابع الهجري: 1/69.

(17) مجلة الكاتب: ص30، العدد 170، السنة 15، مايو 1975م.

(18) مجلة الكاتب، المصدر السابق، ص30.

(19) المصدر نفسه، ص31.

(20) المصدر نفسه أيضاً، 21.

(21) شرح نهج البلاغة: 10/127 - 129.

(22) الدكتور شفيع السيد، مجلة الهلال المصرية، العدد12 السنة 83، ص95 - 96.

(23) شرح نهج البلاغة: 1/205.

(24) شرح نهج البلاغة: 1/205 - 206.

ومن التأمل في حديث ابن أبي الحديد عن نسب نهج البلاغة ونسبته نجد انه لم يكن «مغفلاً» عندما اعتقد «ان ما يشرحه خطب للإمام علي» كما وصفه الدكتور طه حسين على رواية الدكتور محمد الدسوقي عنه (مجلة العربي، العدد 207) شباط 1976م، ص148. وإنما كان باحثاً متعمّقاً وناقداً متأملاً؛ وإن تميز بعيب كبير هو التجرد منالهوى والعصبية!

(25) مشكاة الأنوار: 175.

(26) تلخيص البيان - المقدمة: 96.

(27) النثر الفني: 1/69.

(28) صحيح البخاري: 9/ 58 - 59.

(29) سنن ابن ماجة: 2/1300.

(30) نهج البلاغة: 1/344.

(31) سورة البقرة: 182، والنساء: 11 و12، والمائدة: 106، وإلى غير ذلك.

(32) تاريخ الطبري: 2/ 319 - 321، والكامل لابن الأثير: 2/41 - 42، وشرح نهج البلاغة: 13/211.

(33) يراجع في معرفة هذه المصادر والوقوف على نصوصها كتاب الغدير: 2/252 - 260.

(34) ديوان أبي الأسود الدؤلي: 73.

(35) الموفقيات: 598 وشرح نهج البلاغة: 6/35.

(36) الموفقيات أيضاً: 593.

(37) شرح نهج البلاغة: 1/143 - 150، وقال ابن أبي الحديد تعليقاً على هذه الأشعار انه نقلها عمّن «ليس من الشيعة ولا معدوداً من رجالها» وان «الاشعار التي تتضمن هذه اللفظة كثيرة جداً ولكنا ذكرنا منها ها هنا بعض ما قيل».

(38) سرح العيون: 80.

(39) النثر الفني: 1/ 58 - 59.

(40) فجر الاسلام: 149.

(41) شرح نهج البلاغة: 1/ 128 - 130.

(42) شرح نهج البلاغة: 1/ 128 - 130.

(43) فجر الإسلام: 149.

(44) شرح نهج البلاغة: 9/270.

(45) نهج البلاغة: 1/ 306 - 307.

(46) فجر الاسلام: 149.

(47) العقد الفريد: 2/202.

(48) العقد الفريد: 2/417.

(49) المصدر نفسه: 6/272.

(50) تاريخ الطبري: 3/ 430 - 431.

(51) شرح نهج البلاغة: 12/ 71.

(52) المصدر نفسه: 12/ 71.

(53) شرح النهج أيضاً: 12 / 72.

(54) المصدر نفسه أيضاً: 12 / 118.

(55) نهج البلاغة: 1/245 - 246.

(56) أمالي الشيخ المفيد: 13.

(57) عبقرية الإمام: 140 - 141.

(58) كالنسخة الموجودة في مكتبة السيد محمد محيط الطباطبائي في طهران وتاريخه (512هـ) ونسخة مدرسة فاضل خان في مشهد وتاريخها (544هـ) ونسخة مكتبة المتحف العراقي ببغداد وتاريخها (565هـ) ونسخة مكتبة السيد اليزدي في النجف الاشرف وتاريخها (631هـ).

(59) شرح نهج البلاغة: 12/3.

(60) نهج البلاغة: 1/422 - 423.

(61) نهج البلاغة: 2/ 71 - 72.

(62) نهج البلاغة: 2/ 27 - 28.

(63) وقد روى الشريف عن بعضها مصرحاً باسمه: كالبيان والتبيين للجاحظ والمغازي لسعيد بن يحيى والمقتضب للمبرد وتاريخ الطبري.

(64) مصادر نهج البلاغة وأسانيده: 1/27 - 37.

(65) تاريخ الفلسفة الإسلامية: 80 - 81.